

كلمة باسم قدماء طلبة معهد عبي سعيد وخلية الطلبة الجامعيين في الجلسة الافتتاحية للتظاهرة التأبينية للشيخ أحمد بن بكر بازين - رحمه الله.

الحمد لله الأول والآخر، كتب على نفسه البقاء، وعلى من سواه الفناء، فقال عز من قائل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، والصلاة والسلام على سيد الأوفياء، محمد ﷺ الذي علمنا احترام العلماء، وتوقير الأجداد والآباء، فقال عليه السلام: "لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلِّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ" (رواه أحمد)، وعلى آله وصحبه الكرماء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الجزاء. أيها الإخوة الفضلاء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسعدني أن أقدم هذه الكلمة، أصالة عن نفسي، ونيابة عن رابطة قدماء الطلبة، وخلية الطلبة الجامعيين، في تأبين رجل من رجالات الأمة، الذين يصدق فيهم قول القائل: رب شيخ شاب، نعم لقد كان شابا بأفكاره ونشاطه وحماسه وحركيته، شيخا بحكمته ورزاقته وبعد نظره، فكان نعم الرجل القوي المؤمن الذي أفنى عمره ساعيا في خدمة دين الله، بما أوتي من جهد ووقت ومال.

أيها الإخوة الفضلاء، لقد شاء الله أن يجمعني بالمرحوم في الجزائر العاصمة، عندما تناسى مرضه ووهنه، وحمل فؤاده في كفه، ذاهبا إلى جولة لحشد الدعم المادي للمشروع الخيري، وتحمل مشاق السفر، ليبقى وفيا بمسيرته إلى آخر رفق. لقد كان اللقاء الأول والأخير على قرب، لكنه كان كافيا لمعرفة معدنه، وأشهد الله أنني وجدت فيه صفة النصيح لله، في كل الأمور الصغيرة بله الكبيرة. هذا الذي نظن فيه ولا نزكي على الله أحدا.

أيها الإخوة الفضلاء، عندما نتحدث عن تأبين الأعلام، تختلف الأفكار والأقلام، فرب قائل يقول: دعونا من تقديس الأشخاص، إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون، تذكرون الناس وتغفلون عن رب العالمين. فهذا يشد ويشد العصا من طرفها، ويقابل بنوع من الناس يشد العصا من الطرف الآخر، يسرفون في ذكر خصال المؤمنين، وتعداد مآثره، وذكر

إصاباته دون مصائبه، حتى يخيل إليك أنه نبي مرسل أو مَلَك مقرب، وبين هذا وذاك يحاول أهل الوسطية والاعتدال أن يكونوا أوفياء بأهل الوفاء دون أن يبلغوا حد التقديس. ونحسب أن القائمين على هذه التظاهرة –والتي قبلها– من هؤلاء، حيث سعوا إلى ذكر الواحد في إطار الجماعة، وإبراز جهود الشخص على أنه جزء من مسيرة رائدة ومتواصلة، وهذا لعمرى منهج قويم، وفكر مستقيم، لأنه يدفع كل واحد منا إلى أن يطرح هذا السؤال على نفسه: ما دوري في هذه المسيرة؟ إذا لم أكن مفتيا فلم لا أكون مستفتيا، وإن لم أكن فقيها فلا أكن طالب علم، وإن كانت بضاعتي في العلم وطلبه مزجاة فلم أعدم مالا أضعه وقفا يفتح لي رصيда من البركات والحسنات، حتى ولو كنت شابا أهوى أنواعا من الرياضة، فلتكن سبيلا يوصلني إلى رضا الله ونفع خلقه والدعوة إلى دينه.... لا شك أن كلا منا سيجد السبل التي يدعم به هذه المسيرة، ويقويها، مهما كان المركز الذي جعله الله فيه، قال عز من قائل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ﴾

لكن هب أننا سلطنا الضوء على الشخص دون التنبيه إلى الجماعة التي أوجدته، والبيئة التي صاغته، حينها ستشرد الأذهان وتختار الأنفس، وتتعالى الأصوات: يا ليت لنا مثل ما أوتي فلان إنه لذو حظ عظيم، ثم ترتفع الأكف ضارعة: يا رب عجزت النساء أن يلدن مثل علان، فأعد أيامه إلينا، وتظل على حالها لا تقدم ولا تؤخر، لا تحرك ساكنا، ولا تسكن متحركا، تنتظر السماء أن تمطر ذها أو فضة.

إن الاحتفاء أيها الإخوة بالأعلام، هو منهج قرآني، نراه في تعداد القصص وذكر الأنبياء والصالحين، وهو دعوة إلى إيقاظ العقول وإحياء القلوب، ليس لتأخذ العبر فحسب، بل لتقلب النظر في قوانين الله الكونية والاجتماعية، وعيا وتطبيقا وتبليغا.

لكن ثمة سؤال يقفز إلى الذهن بين الحين والآخر، سؤال استفهامي غير استنكاري: هلا في حياته كان ذا التكریم؟، هل يقبل أن نقابل الصابرين والمجاهدين بمشاعر جافة تزيد في صعوبة الطريق، لا يعرف البعض منا لعالمنا حقه، وصابرنا مثابرته، في حياته، حتى إذا عرق الجبين وانقطع الأنين، وأخذ صاحبنا من بين أظهرنا، ذرفنا عليه العبرات، ونظمنا في رثائه القصائد والعبارات، وقلنا لات حين مناص؟؟ أليس قمينا بنا أن نتم بالمواهب والطاقات، ونذل الدروب والصعوبات، ونقف إلى جانب إخواننا في الأوقات الحرجات؟؟ ألا يمكن لهذا التشجيع أن يحول المحنة منحة والتحدي فرصة؟؟... هذا السؤال ومنكم الإجابة.

هذا، ونرجو أن تكون هذه التظاهرة وقفة تقييمية وتغييرية في حياتنا، أفرادا وجماعات، تتحول فيها الكلمات الطيبة إلى أشجار طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولن يكون ذلك إلا بالنية الصادقة، والعمل الخالص، وتحويل الأفكار إلى مشاريع وخطوات عملية.

وفي الأخير، لا يسعنا إلا أن نرجو الله أن يكأ هذا الجمع بعين رعايته، ويكمل أعمال هذه التظاهرة بالتوفيق والفلاح، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الجزائر العاصمة: الاثنين 8 جوان 2009 .

ناصر بن إسماعيل بومرو

متخرج من كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر